# عمانوئيل وولرستاين

**عمانوئيل وولرستاين باحث أول في جامعة ييل، وممن يشار إليهم بالبنان في تطوير تحليل الأنظمة العالمية. ومن بين أبرز مؤلفاته كتاب النظام العالمي الحديث (أكاديميك برس، 1980)، وكتاب طوبائية أم خيارات تاريخية للقرن الحادي والعشرين (نيو برس، 1990)، وكتاب غفلة علم الاجتماع: قصور وقيود نموذج القرن التاسع عشر، وأخر كتبه كتاب انحسار القوة الأمريكية: الولايات المتحدة في عالم ما يزال في طور التكوين ( نورتون، 2003).**

**جيرمي إيرب: أود أن أبدأ بشيء تحدثت عنه في كتاب النسر يهبط هبوطاً اضطرارياً، حيث ذكرت بأن العوامل الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي ساهمت في تحقيق الهيمنة الأمريكية هي العوامل ذاتها التي ستحقق الانحسار المقبل للولايات المتحدة، هل لك أن تحدثنا عن هذا التناقض؟**

بكل تأكيد، ولكن القضية ليست "الانحسار المقبل للولايات المتحدة" لأن الولايات المتحدة دخلت فعلاً مرحلة الانحسار والتراجع منذ ثلاثين عاماً. خذ مثلاً العوامل الثلاثة التي ذكرتها، فقد كان الاقتصاد يشكل القاعدة الكبرى للهيمنة الأمريكية منذ بداية عام 1945، وكانت الولايات المتحدة القوة الوحيدة التي خرجت من الحرب العاليمة الثانية دون أي يصيبها أي تدمير أو خراب، وكانت في حالة جيدة قبل ذلك. وفي عام 1945 كان باستطاعتها أن تنافس أي أحد في أي مكان وفي الأسواق كلها. وتأسيساً على ذلك كان باستطاعتها القيام

بسلسلة من الأمور. فقامت بإنشاء مجموعة من التحالفات العسكرية خلال سنتين مع أوروبا واليابان، الأمر الذي جعل من هذه الدول دولاً تابعة تدور في فلك الولايات المتحدة. وعقدت الولايات المتحدة صفقة مع الاتحاد السوفييتي كانت بحكم الهدنة على الوضع القائم في العالم آنذاك. وبالطبع، كانت تمتلك الأسلحة النووية، وبلغت من القوة مبلغاً يمكنها من فرض إرادتها على أي شيء ذي بال على مدى 25 عاماً. وهذا هو ما نسميه الهيمنة.

ثم بدأت تلك الحالة بالانحسار مع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات. أولاً وقبل كل شيء على الصعيد الاقتصادي، بدأت أوروبا واليابان بالتعافي الاقتصادي، وهو ما دعمته الولايات المتحدة عن طيب خاطر لأنها كانت بحاجة إلى من يستطيع شراء منتجاتها. وقد أدى هذا الدعم إلى تحويل هذه الدول إلى قوى اقتصادية منافسة للولايات المتحدة. ومع نهاية السبعينيات، كان هناك فارق بسيط بين فعالية وجودة الانتاج بين أوروبا الغربية واليابان من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى. وبذلك تلاشت معظم المزايا التي تمتعت بها الولايات المتحدة فوق هذه الدول. وكان من أثر ذلك أن فقدت الولايات المتحدة من قدرتها على التأثير على أوروبا الغربية واليابان في عمل ما تريده، إلا أنها استطاعت المحافظة على موقعها لبعض الوقت مستخدمة التهديد بالخطر السوفييتي وبالمصالح المشتركة بينها وبين هذه الدول فيما يخص العالم الثالث. إلا أن الولايات المتحدة فقدت هذا السلاح السياسي الذي كان أداة فعالة في السيطرة على أوروبا واليابان بسقوط الاتحاد السوفييتي الذي شكل من هذا المنظور كارثة على الولايات المتحدة.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة هذه الأيام تتمتع بميزة عسكرية لا مثيل لها في العالم. إلا أن أي شخص يملك قنبلتين نوويتين بإمكانه أن يحجم الولايات المتحدة كما هو ظاهر في مسألة كوريا الشمالية. وعلى الرغم من استخدام

الولايات المتحدة لكل الوسائل للحد من انتشار الأسلحة النووية في الماضي والحاضر، إلا أن عدد الدول الحائزة على هذا السلاح ارتفع من دولة واحدة إلى ثماني دول تعلن رسمياً عن امتلاكها السلاح النووي، بالإضافة إلى خمس أو ست دول بإمكانها حيازته بسرعة فائقة، وهناك ما بين خمس عشرة إلى عشرين دولة أخرى على وشك امتلاك القنبلة النووية. إن عظمة القوة العسكرية الأمريكية تمكنها من تحطيم أي جيش في العالم، إلا أنها لا تمكنها من منع إصابتها بالسلاح النووي. وهذا بدوره يفرض علينا قيوداً كبيرة كما يتضح لنا في العالم الحاضر.

وتواجه الولايات المتحدة اليوم صعوبة في التصدي لحركة المقاومة في العراق. والسبب في ذلك يعود في جزء منه إلى عدم توفر العدد الكافي من الجنود على الأرض للسيطرة على الموقف، وهذا يرجع في جزء منه لعدم استعداد الشعب الأمريكي تحمل الخسائر البشرية. وفي جزء منه أيضاً، لعدم التأييد الشعبي للاحتلال الأمريكي للعراق حتى بعد إزالة صدام حسين. وهذا بالتأكيد يقيد الحكومة من التحرك تجاه إيران وكوريا الشمالية. إذن فالولايات المتحدة متفوقة عسكرياً بمعنى أنه لا أحد يستطيع احتلالها ومواجهتها في معركة مفتوحة، ولكن لا يمكن ترجمة تلك القوة إلى سياسية فعالة. وهو ما نكتشفه الآن في الشرق الأوسط.

**جيرمي إيرب: ذكرت أن سقوط الشيوعية كان كارثة على السياسة الأمريكية.**

كارثة سياسية- ليس بالنسبة لشعوب الاتحاد السوفييتي، بل بالنسبة للولايات المتحدة.

**جيرمي إيرب: نعم، وأعتقد أن ذلك له علاقة بما نتحدث عنه هنا، ومن المسائل التي سنسلط عليها الضوء هي مشروع القرن الأمريكي الجديد**

**ومذهب ولفوويتس- وهذا هو ما قالوه بالضبط، فقد ذكروا بأنهم بحاجة إلى "حدث كارثي مدمر" من أجل بناء وتعزيز القوة العسكرية الأمريكية. هل لك أن توضح لنا ما تراه من الافتراضات التي تقود تفكيرهم؟**

المحافظون الجدد هم الوحيدون الذين يتفقون معي بأن الولايات المتحدة تشهد حالة من التراجع والانحسار؛ وهم يعتقدون أن بيدهم الحل والعلاج. فمنذ عام 1970، كانت الولايات المتحدة تنتهج سياسة خارجية واحدة سار عليها الرؤساء الأمريكان من نيكسون إلى كلينتون، ومن ضمنهم ريغان وحتى بوش الثاني في السنة الأولى من حكمه. ويمكنني وصف هذه السياسة بالعمل الجماعي اللّين، وهذا العمل الجماعي لا يعني العمل الجماعي بالمعنى الحرفي للكلمة، لأنها تعني أن تأتي الحكومة الأمريكية وتقول "عليكم أن تقفوا معنا وتشاركونا في هذا العمل وإلا سنقوم به وحدنا". ومع ذلك كانت هناك جهود متواصلة لمحاولة إقناع حلفائنا وإبقائهم في صفنا؛ وكان هذا هو العنصر الأول في السياسة الجماعية اللينة. والعنصر الثاني هو محاولة إقناع، وإن لم يتسير فبشبه الإقناع، أو شبه تهديد الدول بعدم نشر الأسلحة النووية. وكانت هذه السياسة سياسة ناجحة إلى حد ما. والحكم على نجاح هذه السياسية هو كالقول بأن الكأس نصفها مليئ أو القول بأن نصفها فارغ. وأعتقد بأن الولايات المتحدة فعلت كل ما بوسعها ضمن الإمكانيات المتاحة أمامها. أما الأشخاص الذين يقفون خلف مشروع القرن الأمريكي الجديد - وولفويتس وتشيني وغيرهم- فهم ينظرون إلى النصف الفارغ من الكأس. ويعتقدون بأن هذا النوع من السياسة سمح للأمور بالإنفلات من يد الولايات المتحدة، وأنه كان بالإمكان منع ذلك باستخدام سياسة أمريكية مختلفة: سياسة تقوم على التصرف الأحادي العدواني. والعمل الإنفرادي من وجهة نظرهم ليس خياراً ثانوياً نلجأ إليه لأن

obeikandl.com

فرنسا وألمانيا وروسيا مثلاً لم تساير الولايات المتحدة فيما تريد. بل إنهم لا يريدون من هذه الدول أن توافق الولايات المتحدة أصلاً لأنهم يقصدون إظهار أن الولايات المتحدة قادرة على التصرف بمفردها دون الحاجة إلى أحد. وباعتقادهم أن ذلك سيحقق هدفين: أولهما أن أوروبا العجوز والدول المشابهة لها حول العالم ستنهار من الصدمة قائلة:"يا إلهي، لم يعد بأيدينا فعل أي شيء، فالأفضل لنا أن نخضع لأمريكا ونؤيدها". والثاني، أن دولاً أخرى مثل إيران وكوريا الشمالية وغيرها من الدول التي تسعى إلى امتلاك أسلحة نووية- ستشعر بالخوف وتخضع للإرادة الأمريكية.

هذه هي الأسباب التي ساقوها لدعم سياساتهم. وهي سياسة جاءت بعد تفكير ملي. وما فعلوه كان متعمداً. وهم مخطئون في ذلك. إنهم مخطئون في قراءتهم لأوروبا الغربية، وفي قراءتهم لشرق آسيا، وفي قراءتهم للشرق الأوسط. إنهم لا يفهمون كيف يفكر الناس هناك، ولا كيف ستكون ردة فعلهم. وكان نتيجة سياساتهم أن جعلوا الأمور أسوأ مما كانت عليه قبل ثلاثة أعوام فيما يخص الموقف العام تجاه الولايات المتحدة في تلك المناطق. ولم يكن ما فعلوا ناجماً عن سوء تقدير، بل كانوا يدركون ما هم مقبلون عليه وما ستسفر عنه تصرفاتهم من نتائج. لقد خرجوا على السياسة التي اتبعها كل الرؤساء الأمريكان من نيكسون إلى كلينتون وحتى بوش الثاني في السنة الأولى من حكمه. ولا أظن أن بإمكاننا العودة إلى السياسية القديمة. ويتساءل عدد من النقاد ألا يمكننا العودة إلى السياسة القديمة التي أطلقت عليها "سياسة العمل الجماعي اللينة". والناس مستاؤون وغاضبون من الممارسات التي تقوم بها الولايات المتحدة، ويدركون ما تفعله في هذه الدول، وسيرفضون هذه السياسة. لذلك فإن الحكومة الأمريكية قد أوقعت نفسها في مأزق عميق وستجد صعوبة في إخراج نفسها منه، وستفقد نتيجة لذلك من قدرتها على التأثير في الشؤون العالمية في ربع القرن القادم.

**جيرمي إيرب ضمن هذا السياق، ألاحظ التركيز على القوة العسكرية والعمل الانفرادي العدواني، ولكن أين موقع الإمبراطورية أو الإمبريالية في هذا كله؟**

طبعاً هناك مصالح اقتصادية تدفع هؤلاء الأشخاص وتشكل منطلقاً لسياساتهم. فالولايات المتحدة في الوقت الحاضر أضعف اقتصادياً مما تحب أن تعترف، وهذا القول ليس لمجرد اختفاء المصانع وفقدان الوظائف، بل لأن الدولار نفسه في أزمة حقيقية. إن أساس القوة الاقتصادية الأمريكية يقوم على حقيقة أن الدولار هو العملة الاحتياطية في معظم دول العالم، وهذه ظاهرة سياسية تعكس استعداد الدول الأخرى لقبول الدولار عملة احتياطية نظراً لاعتقادها وثقتها بالقوة الاقتصادية للدولار. وهو ما مكّن حكومة بوش من إجراء تخفيضات كبيرة على الضرائب، وإنفاق الأموال الطائلة على المؤسسة العسكرية، والوصول بعجز الميزانية إلى نصف ترليون دولار، وفتح الباب أمام اليابان والصين (وأنا أشير إلى هاتين الدولتين بالتحديد، وهناك غيرها كثير) لشراء السندات المالية التي تصدرها الحكومة الأمريكية، وهو ما يبقي هذه الحكومة على قيد الحياة. والآن، لو قررت حكومات تلك الدول التي اشترت هذه السندات - وأتوقع أن يحدث هذا في المستقبل القريب- أن هذه السندات غير مجدية لهم اقتصادياً- وهي أصلاً لم تكن مجدية سياساً- ولكنها لو بدأت تفقد قيمتها الاقتصادية فإن ذلك سيكون النهاية بالنسبة للولايات المتحدة؛ وأعني ذلك على وجه الحقيقة فيما يتعلق بمستوى المعيشة وغيره.

ويسعى المحافظون الجدد الموجودون في سدة الحكم إلى وقف هذا التدهور بالطبع؛ ويريدون المحافظة على مزايا الرأسمالية الأمريكية التي تتمتع بها أمريكا في العالم اليوم. وإذا أردت أن تسمي ذلك إمبريالية، فإنها بالتأكيد إمبريالية، ولكنها ليست هدفهم المباشر. لذلك، عندما يقول الناس، على سبيل المثال، وهذا

obeikandi.com

يتردد كثيراً أن "المسألة كلها تتعلق بالنفط"، بالطبع النفط ضروري، وبالطبع أنهم يسعون إلى السيطرة على منابعه، إلا أن ذلك وحده لا يكفي لتفسير الحرب على العراق. فمن جانب لم تكن أحوال سوق النفط سيئة قبل الحرب، ونحن الآن نخاطر بانهيار المملكة العربية السعودية ويمكن أن نخسر خسارة كبيرة في مصادر النفط. لذلك فإنني لا أنكر وجود مصالح نفطية، ولكن هذه المصالح هي مصالح متوسطة. والمصلحة العاجلة القصيرة من هذه الحملة هي إظهار "الشوكة" العسكرية واستعراض العضلات. وهذا من شأنه أن يعزز من قيمة الدولار؛ ويمكننا من وقف انتشار الأسلحة النووية وغير ذلك. إلا أن هذه الإستراتيجية غير ناجعة في تحقيق المراد، وعلى كل حال كانت تلك هي الأسباب التي ساقوها لحملتهم العسكرية.

**جيرمي إيرب: تحدثت في إحدى مقالاتك عن غرور وكبرياء هذه الحكومة. هل لك أن توضح لنا ما عنيته عندما أشرت إلى نزعتهم في إظهار الرجولة و"الفتوة" في سياساتهم، وكيف أن هذا الأسلوب لا يحقق الأهداف السياسية المرجوة منه كما هو متوقع منها؟ هل هم على هذه الدرجة من السذاجة في عدم إدراك ذلك، أم أن هناك شيئاً ما وراء افتراضاتهم لا يظهر على السطح؟**

هناك كلمة تصف ما يفعلونه وهي "الغطرسة". والمثل يقول: يأتي الاستعلاء قبل السقوط. وها نحن نحكم العالم منذ خمسين سنة. حكمناه بسهولة في ربع القرن الأول، ولكننا بدأنا نواجه المشاكل والعقبات في الربع الثاني. وقد تعودنا على ذلك الآن. وليست المسألة أن القائمين على الحكم داخل حكومة بوش لا يعرفون العالم من حولهم

بل إن كثيراً منهم على درجة عالية من المعرفة والعلم، فهم يسافرون ويتقنون التحدث بأكثر من لغة، وغير ذلك- ولكن ينقصهم فهم أن هناك من يخالفهم

Obeikandi.com

الرأي. فهم يعتقدون أن لديهم الكثير ليعلموه للناس، وأنه لا ينقصهم تعلم أي شيء من الآخرين. لا أحد منهم ينقصه تعلم أي شيء، ويصعب فهم ذلك من الناحية الثقافية وبخاصة إذا كان المرء يقبع على القمة. هذه هي القضية. فبعد الحرب العالمية الثانية كثر الحديث حول واجب الولايات المتحدة في أن تتعلم كيف تلطع بدورها الجديد في العالم، ولم يكن الأمر سهلاً لأننا خرجنا من تقليد انعزالي مغلق على نفسه. وفي الحقيقة أن هذا الوصف مناسب جداً، لأننا لو نظرنا إلى النخبة الأمريكية من منظور سيكولوجي، فإن ذلك هو ما حدث منذ عام 1945 إلى عام 1970. لقد تعلموا كيفية تحمل مسؤلياتهم في العالم. وما أن انتهوا من تعلم ذلك، حتى بدأت الهيمنة الأمريكية بالتراجع. وكان ينبغي عليهم تعلم كيفية التعايش في ظل امتلاك سلطات أقل.

إنني أصف الفترة الممتدة من عام 1972 إلى عام 2000 بالإعوام التي ضيعت سدى. وكان بالإمكان الاستفادة منها في إعادة تعلمنا لدورنا في العالم. والآن يتحتم علينا فعل ذاك، إلا أن هؤلاء الأشخاص في الحكومة يقولون: لا، لا، لا. إن آخر شيء نحتاج إلى تعلمه هو دورنا في العالم". ولكنك لا تكاد تجد رئيساً أمريكياً واحداً، وبلا استثناء، لا يذكر في إحدى خطاباته بأن "أمريكا هي أعظم دولة في العالم". وهذه مبالغة جيدة، وربما تدفع الجميع إلى التصفيق. ولكن هناك كثير من الشعوب في العالم تعتقد بأن دولتهم هي أفضل دولة في العالم؛ ويعتقدون بأنها حتى أفضل من الولايات المتحدة. لذلك يتحتم على الولايات المتحدة أن تحسن العيش في عالم لا يشاطرها الرأي فيما تراه في نفسها. وعليها ان تتعلم كيف تعيش في عالم هي فيه دولة قوية، وقوة مهمينة ولها تقاليدها. ولكنها ليس الوحيدة فيه. وعليها أن تتعلم كيف تتحدث إلى الناس، وتتفاعل مع الشعوب وتحاورهم. وأنهم ليسوا دائماً على خطأ؛ وأننا لسنا دائماً على الحق.

وهذا الأمر صعب جداً من الناحية النفسية. وربما نحتاج الأمر إلى هزيمة مريرة لتهيئة الشعب الأمريكي لتقبله. فعندما ننسحب من العراق في ظروف لا تبعث على الاعتزاز، وعندما ينهار الدولار، كما أتوقع أن يحدث له، وعندما نصبح أمام عالم تهيمن عليه عدة عملات عالمية، فإن ذلك سيكون صدمة كبيرة. ويمكن لهذه الصدمة أن تقودنا إلى واحد من اتجاهين: إما أن تؤدي إلى ثوران غضب يميني متطرف منصب على الذات. أو أن يؤدي إلى فتح احتمالات جديدة، إلى عقلية جديدة. هذا هو الحوار الداخلي الكبير في الولايات المتحدة. وهو حوار بلغ درجة عالية من الحدة. إنني أجد العداوة الظاهرة بين طرفي الحياة السياسية الأمريكية أعمق وأقوى وأشد مما شاهدته في حياتي وأعتقد أن ذلك بسبب جسامة وأهمية القضية.

**جيرمي إيرب: أنت تقول بأن الأمر "ربما يحتاج إلى صدمة تهز النظام" وهناك كثير من الناس يقولون بأن أحداث 11 سبتمبر كانت صدمة. هل لك أن تحدثنا عن دور 11 سبتمبر في هذا كله؟**

لقد كانت صدمة كبيرة لأنها حطمت أسطورة قديمة. وهي الأسطورة التي تقول بأننا محصنون في بلدنا. والحقيقة أنها كانت أحداثاً مذهلة. فها نحن أمام مجموعة من الأشخاص - وليس دولة- فقط مجموعة من الأشخاص المتعصبين من خلفيات متنوعة، استطاعوا تنفيذ عملية معقدة أدت إلى إحداث أضرار جسيمة داخل الولايات المتحدة في مدينة نيويورك وفي البنتاغون. لقد كانت عملية مفاجئة أصابت الشعب الأمريكي بالذهول. وما فعله الرئيس بوش مباشرة بعد تلك الهجمات هو محاولة منع الشعب الأمريكي من التفكير بما حدث.

أنظر كيف حولوا القضية إلى "فلنتعقب هؤلاء الأشرار للقضاء عليهم"؟ نعم بكل تأكيد لنتخلص عليهم، ولكن لماذا استطاع هؤلاء الأشرار أن يقوموا بذلك؟ لماذا يتمتع هؤلاء الأشرار بكل هذا الدعم؟ ولماذا ضحى هؤلاء الأشرار بأنفسهم

لفعل ذلك؟ إننا لا نريد مناقشة هذه الأسئلة؛ بل على العكس، كان كل من يطرح هذه التساؤلات يصنف ضمن قائمة "عديمي الوطنية" ويقدح في ولائه للوطن، لذلك فقد تم تحويل هذه الصدمة إلى ردة فعل معاكسة مكنت الحكومة من القيام بهذه المغامرة الحمقاء في العراق.

إلا أن هذه العنجهية الوطنية آخذة بالتلاشي. فجثث الجنود بدأت بالعودة إلى ذويهم. وفي كل مرة تسقط فيها طوافة أمريكية يعرض التلفاز صور الصبيان الصغار حول حطامها وهم يلوحون بعلامة النصر. وقد شاهدت هذا المشهد قبل أيام. وما من شك أن بقية الشعب شاهدت ذلك. وقد بدءوا يتساءلون في أنفسهم حول ما يجري. وربما أن نصف الشعب الأمريكي بدأ يدرك حقيقة ما يحدث. أما النصف الآخر فما زال يعيش في صندوق ضيق. وهذا الصراع الداخلي هو حول هذه القضية.

**جيرمي إيرب: ذكرت للتو أن جثث الجنود بدأت بالوصول إلى ذويهم، وأجريت عدة مقارنات على مستويات مختلفة مع فيتنام. وقبل بدء هذه الحرب كانت فيتنام تشكل إحدى الهواجس من أننا ربما على أعتاب فيتنام ثانية. وذكرت كيف أن فيتنام تسببت في خسارة إل بي جي في الانتخابات الرئاسية، وأن من الممكن أن تفعل هذه الحرب الشيء نفسه بجورج بوش. وأنا هنا أتساءل عن مدى دقة هذه المقارنة التي سبقت الحرب؟**

كان العدو الذي واجهناه في فيتنام – بكل تأكيد – أقوى عسكرياً من العراق. وفي المقابل، أدت فيتنام إلى إحياء الحس الوطني لدى الشعب الفيتنامي، كما أن المقاومة العراقية قد بدأت بإحياء الشعور الوطني العراقي ضد الولايات المتحدة. والفارق بين فيتنام والعراق بالنسبة لهذه الحكومة هو أن حرب فيتنام استلزمت فرض التجنيد الإجباري في البلاد. والتجنيد الإجباري يعني سحب كثير من

الناس إلى الخدمة العسكرية وهم غير راغبين في الخدمة العسكرية. وقد أدى ذلك إلى تنامي المشاعر الشعبية المعارضة لتلك الحرب على مدى عدة سنوات. وفي المقابل جاءت حرب فيتنام في أوج موجة المشاعر المعادية للشيوعية في البلاد، وخطر انتشار الشيوعية. وكانت تلك قوة دافعة كبيرة لمجهود الحرب؛ ولهذا السبب استغرقت الحركة المناهضة للحرب وقتاً طويلاً قبل أن تقف على رجليها. ولم يحتدم القتال في فيتنام إلا عام 1965؛ ولم نخرج منها حتى عام 1973. ويمكنني القول بأن تشكيل حركة معارضة الحرب استغرق ثلاث سنوات. ولم يظهر نشاط هذه الحركة على الساحة العامة بشكل يذكر إلا عام 1968، واستطاعت الإطاحة بالرئيس جونسون وإيقاف هجوم تت. وفي هذه الأيام نشاهد أن معارضة الحرب كانت أسرع في النشأة، إلا أن الخسائر البشرية في صفوف الجنود ليست بذات الحجم الذي شهدناه في فيتنام. ومع ذلك، هناك جندي يقتل بطريقة ما كل يوم؛ وهذا شيء منهك، وبخاصة إذا لم نشاهد أي تقدم إيجابي في الجوانب الأخرى. وهذا هو ما تشتكي منه الحكومة الأمريكية وتردده كل يوم من أنه لا أحد يرينا الجانب الإيجابي في كل الأشياء الحسنة التي نفعلها، إلا أننا لسنا متأكدين من هذه الأمور الإيجابية التي تتحدث عنها الحكومة. فالكهرباء ما تزال غير متوفرة بشكل كامل في بغداد. وأنا في غاية الذهول من هذه الحقيقية. فكيف نعجز عن إعادة التيار الكهربائي إلى المدينة بشكل كامل ولدينا كل هذه الإمكانيات الهندسية.

والحقيقة هي أننا لا نملك أعداداً كافية من الجنود على الأرض. ولا يمكننا إرسال المزيد من الجنود لأن ذلك سيقضي على التأييد الشعبي لبوش وعلى نحو سيء. ولا توجد دول أخرى على استعداد لتقديم مزيد من الجنود في هذه الحرب. لا أحد باستثناء بريطانيا، لديه استعداد لتقديم أعداد كافية من الجند. لذلك فليس هناك أمل في الحصول على العدد المطلوب من الجنود. وبحسب ما تقوله الصحافة، فإننا لا نستطيع المحافظة حتى على العدد الحالي من الجنود

دون اللجـوء إلى دعـوة الاحـتـيـاط، وهـذا أمـر لا يلقى القـبـول من النـاس. فـقـد استدعينا من الاحتياط أعداداً أكثر مما يتحمله الشعب وأبقيناهم في الخدمة لفترات تجاوزت حدود رغبتهم. وأفراد الاحتياط دخلوا في الخدمة لمدة سنتين، وليس لديهم رغبة في التجديد، ومنهم أعداد كبيرة ستحجم عن التجديد لأنهم لم يسجلوا أنفسهم في الاحتياط للذهاب إلى العراق والتعرض لإطلاق النار بطرق فظيعة. لذلك فالحكومة الأمريكية مقيدة اليدين - فهي لا تستطيع الانسحاب لأن ذلك سيشكل خسارة سياسية لها. وأنا لا أقول بأن بوش سيخسر الانتخابات القادمة لأن هناك أشياء كثيرة يمكن أن تحدث من الآن وحتى تاريخ إجراء الانتخابات القادمة. إلا أنه لا يظهر في موقف يحسد عليه.

**جيرمي إيرب: يتردد على ألسن الناس أن السياسيين جميعهم لا يختلفون عن بعضهم بعضاً، فماذا يعني، أو ماذا سيحدث في ظل أربع سنوات أخرى من حكم بوش إذا كانت الأمور على هذه الدرجة من السوء؟ فهل هذه القوى العالمية، الهيكلية التي وصفتها في حديثك، بهذا الحجم بحيث لم يعد هناك فرق إن كان سينجح أم لا؟**

حسناً، ماذا يمكنني أن أقول؟ أعتقد أن بوش أفسد الولايات المتحدة، وأنه سيزيد في إفسادها. وبالتأكيد امتد إفساده إلى العالم. إننا نعيش في حالة من الفوضى تسود العلم كله. وهو يصب الزيت على النار، هذا باعتقادي ما ستكون عليه الحال لو فاز بوش بفترة حكم ثانية.

**جيرمي إيرب: عندما ترشح بوش للرئاسة عام 2000، كان في كل خطاب انتخابي ألقاه يتحدث عن الجيش، وكيف أضعف كلينتون المؤسسة العسكرية، وأن كلينتون كان رئيساً مخنثاً، وأننا بحاجة إلى "رجل" لا ليستعيد "شرف" البيت الأبيض وحسب، بل ليستعيد القوة الأمريكية كذلك. هل لك أن تحدثنا عن لغة الخطاب هذه؟**

لغة الخطاب هذه، كما هو معلوم، هي لغة الخطاب التقليدية للحزب الجمهوري منذ الحرب العالمية الثانية، وتبلورت بشكل أوضح منذ عهد نيكسون. فلا جديد في ذلك. فكل مرشح جمهوري يخوض انتخابات في مواجهة مرشح ديمقرطي يردد مقولة أن الديمقراطيين يضعفون الجيش. وأنهم ضعاف. وهناك شريحة من المجتمع تهوى سماع هذه المعزوفة، لذلك فهم يستخدمون هذا الكرت دائماً. ولا أظن أن ما قاله جورج بوش عن بل كلينتون يخرج عن هذا الإطار. فقد استخدم جورج بوش الأول هذا الادعاء ضد المرشح الديمقراطي مايكل دوكاكس، واستخدمه ريغان ضد كارتر، ونيكسون ضد ماكغفرن، وإلخ. وبالطبع ما يقصدونه هو أن الرؤساء الجمهوريين يزيدون النفقات العسكرية.

وعندما أصبح جورج بوش رئيساً للبلاد، كانت هذه الأمور غير محسومة. وأعتقد أن الحكومة كانت تتشكل من فئتين. فئة ترغب بالاستمرار في نهج السياسة القديمة. وهذه الفئة يقودها كولن باول. وفي الجانب المقابل هناك عصبة مشروع القرن الأمريكي الجديد. وفي اللحظة التي تسلم فيها بوش زمام الحكم. لم تكن لأي من الفئتين الغلبة على الفئة الأخرى لأن بوش قام بتشكيل أعضاء حكومته من كلا الطرفين. ولما وقعت أول أزمة واجهتها الحكومة في السياسة الخارجية، وهي إسقاط طائرة استطلاع أمريكية فوق الأراضي الصينية، حدث صراع داخل الحكومة حول كيفية التعامل مع هذه الأزمة. وحسمت نتيجته لصالح معسكر كولن باول. وتم التعامل مع الأزمة بالطرق الدبلوماسية التقليدية. إلا أن هجمات 11 سبتمبر، عملت على ترجيح كفة المعسكر المتطرف(*) وتهميش كولن باول وجماعة بوش الأول.

(*) تعززت سيطرة المحافظين الجدد على الأجهزة الحكومية بعد فوز بوش بفترة حكم ثانية، وخرجت العناصر المعتدلة من تلك الحكومة بمن فيهم كولن باول.

والسبب الوحيد الذي دفع جورج بوش أخيراً إلى الاستعانة بالأمم المتحدة في العراق هو الانتقادات العلنية التي صدرت عن رفاق أبيه من مثل جيمس بيكر، وسكوكروفت، وغيرهم. وساد اعتقاد بأن لأبيه يد في ذلك، وأنا أتفق مع هذا الافتراض. لقد ضغطوا على جورج بوش لكي يبتعد عن السياسات الانفرادية على عكس ما يرغب به رمسفيلد. فاستجاب بوش لهذه الضغوط، ولكن ومن حسن الطالع بالنسبة لرمسفيلد، فشلت تلك السياسة. فطلع علينا المحافظون الجدد يقولون:"أرأيتم، إن من يذهب إلى الأمم المتحدة لا يجني إلا الخيبة والمشاكل". وكلامهم صحيح من جانب واحد، وهو أنهم (أي المحافظين الجدد) قد أوجدوا هذا الوضع بحيث لا يمكنهم النجاح في تلك البيئة. إنها نبوءة تحقق ذاتها: لأن التصرف وفق نهج المحافظين الجدد يعزز من صحة القول باستحالة التعامل مع المسألة بأي طريقة أخرى. وما لم يتم تغيير تلك الطريقة تغييراً جذرياً فإنه لا يمكنك العودة إلى السياسة القديمة وتتوقع أنها ستنجح. لذلك فإن سياسة بوش لن تنجح، كما أن السياسة القديمة لن تنجح كذلك في ظل الأوضاع التي أوجدوها. إننا بحاجة إلى تغيير جذري، تغيير جذري جديد.

**نيو هيفين، كنكيتكت**

**5 نوفمبر،** 2003

❃ ❃